الغلو في أصول العقيدة
خطره وآثاره

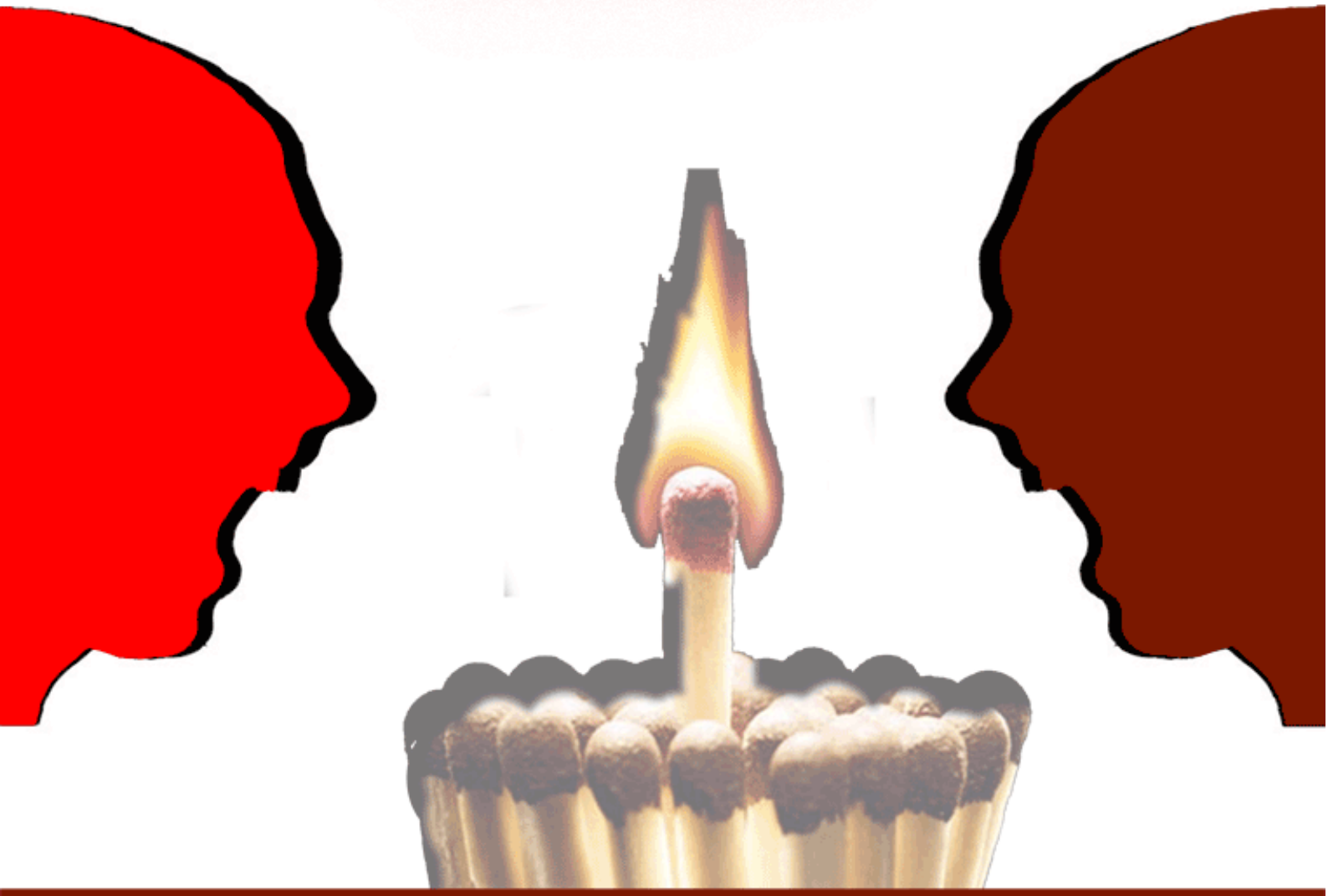

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الدكتور علي بن عبدالعزيز الشبل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقدمة

الحمد لله وحده وصلى الله على رسوله وآله وصحبه وبعد:

فإن الانحراف الناشئ عن الغلو نال أصول الدين وأصول العقيدة كما نال المسائل الفرعية والأحكام التفصيلية وما ذاك إلا خطورة الغلو في الدين، وشنئانه على أهله ديناً وقولاً وعملاً، وفي هذا البحث حول الغلو في أصول العقيدة أتعرض إلى الغلو في أصول الفرق الكبار الغالين في الفصول التالية:

1ـ **الفصل الأول: باب صفات الله عز وجل بين غلو المشبهة وغلو المعطلين.**

2ـ **الفصل الثاني: باب الغلو في الأشخاص وذواتهم وأثره.**

3ـ **الفصل الثالث: باب القضاء والقدر بين غلو الجبرية وغلو القدرية.**

4ـ **الفصل الرابع: باب الصحابة وآل البيت بين غلو الرافضة وغلو الخوارج.**

5ـ **الفصل الخامس: باب الأسماء والأحكام بين غلو المرجئة وغلو الوعيدية.**

6ـ **الفصل السادس: باب النبوات، والغلو الوارد عليه.**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مع بيان أصول أقوال تلكم الفرق الكبار. ومآخذ شبههم والرد عليهم فيها، مبِّناً المذهب الحق بقول أهل السنة والجماعة بدلائله وكشف شبه أولئك المنحرفين في هذا الباب، وما جرَّه الغلو في الفهم والاعتقاد من ويلات ومشكلات وانحراف في العقيدة وأهلها، حماية للديانة وصيانة لذودها.

وفي هذا البحث أحاول أن أجمع عدداً من الفرق الغالية على سبيل التنوع وذلك فيما غلوا فيه من مسائل الدين. ولن ألتزم بذكر جميع الغلاة في المسألة المعينة. فالقدر مثلاً لن أذكر إلا من كان غلوه فيه صريحاً لا يوهم غيره، ولن ألتزم بذكر نص كل فرقة بعينها لأن ذلك سيطول حصره، ومناقشة كل فرقة خروج عن المقصود.

- لهذا سأعرض للغلو في باب الصفات تشبيهاً وتعطيلاً.
- ثم الغلو في الأشخاص في ذواتهم كالرسول صلى الله عليه وسلم وعليّ وآل البيت والصالحين، والغلو عند الصوفية.
- ثم الغلو في باب القضاء والقدر إثباتاً لخلق العبد فعله، أو كونه مجبوراً.
- وما سأذكره من فرق غالية في باب أو مسألة، لا يعني أنهم ليس لهم آراء في المسائل الأخرى، وربما نجد تكرار بعض الغلاة كالسبئية في أكثر مسألة في الغلو في آل البيت والنبوات.... وهكذا.
- ثم الغلو في باب الأسماء والأحكام، وأعرض من خلاله إلى الآراء الغالية في أصل المسألة، وهي مسألة الإيمان وتحديدها عند الغلاة وغيرهم.
- ثم الغلو في باب النبوات - وهو بعض الغلو في الأشخاص - لكن لأهميته أفرد مستقلاً.

والذي تحصّل أن الغلو وفكره وحركاته يمثل في التاريخ الإسلامي سلسلة متصلة من الحلقات، كل حلقة أو حركة غلو لها علاقة بالتي سبقتها، وتكون مؤثرة فيما يكون بعدها من الفرق، أي أنه ((لكل قوم وارث)).

يُوضِّحه أن مبدأ الغلو عند الخوارج في تكفير علي بن أبي طالب، رضي الله عنه نتج عنه غلو معاكس تماماً في تأليه علي والاعتقاد فيه بما لا يجوز إلا لله عز وجل، واعتقاد أنه نبي، أو وصي للنبي صلى الله عليه وسلم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم كانت فتنة القدرية بنفي قدرة الله على مرادات خلقه، والتي صاحبها ردة فعل عند الجهمية أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي تمثل في القول بالجبر، ثم فتنة تعطيل الله عز وجل وأسمائه نتيجة لمسلك التشبيه والتجسيم لدى بعض غلاة الروافض الأول.

وهكذا فالمرجئة نتيجة لشدة قول الخوارج والمعتزلة في مرتكب المعاصي...

* والمسلك الذي أسير عليه هو ذكر المسائل التي حصل فيها الغلو ثم تضمينه لبعض الفرق الغالية - وهو منهج أبي الحسن الأشعري في المقالات - مخالفاً لجمهور أهل المقالات الذين يسردون الفرق ثم يذكرون خلال سردها أقوالهم في مسائل الدين وأصوله.

والله أسأل أن ينفع به ويجعله خالصاً لوجهه محققاً للزلفى لديه، وأن يعظم أجورنا ويحاذنا سخطه، ويورثنا به الفردوس الأعلى من الجنة، ويوفقنا لمنهج العدل في الأقوال والأفعال والمقاصد، ويجنبنا أسباب الغلو وبواعث سخطه وصلى الله وسلم على رسوله وآله وسلم.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الأول

الغلو في باب صفات الله تعالى

يجدر القول ابتداء أن الغلو في الصفات القدسية للباري جل شأنه إثباتاً وتنزيهاً ليست أول المسائل التي وقع فيها الغلو والخلاف، لكننا قد بيناها هنا لكونها من أهم مسائل الدين، ولاستمرار خطر أقوال الغلاة فيها إلى وقتنا الحاضر.

وأول من عرف عنه هذا النوع من الغلو هو الجعد بن درهم - معلم مروان بن محمد - والذي ضحى به خالد بن عبد العزيز القسري والي العراق من قبل الأمويين لمقالته في خلق كلام الله عز وجل ونفي خلق الله لفعل عبده سنة (118هـ).

كما قال ابن القيم:

ولأجل ضحى بجعد خالد الـ ـقسريُّ يوم ذباع القربان

إذ قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الداني

شكر الضحية كلُّ صاحب سنة لله درك من أخي قربان

وقد تلقى عن الجعد أقواله الجهم بن صفوان الترمذي (128هـ) أبو محرز وبواسطته انتشرت أقوال الجعد ولكنها نسبت إليه. وقد قتله سَلْم بن أحوز والي خراسان أيضاً.

وصفات الله تعالى عند الفرق بين طرفين ووسط:

ـ فقوم عطلوا الله سبحانه وتعالى عن صفاته - وهم الغلاة في التنزيه.

ـ وقوم شبهوا الله بخلقه - وهم غالية الإثبات زعموا !

ـ وقوم وسط بينهما نجوا مما ما زلت به عقول أولئك فأثبتوا لله صفاته كما جاءت على ما يليق بجلاله وعظمته وعرفوا معانيه وأسندوا علم حقائقها وكيفياتها إلى لله سبحانه وتعالى، وإثباتهم للصفات لم يستلزم منه تشبيه الله وتمثيله بخلقه اعتماداً على مبدأ قوله تعالى: { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** }[الشورى: 11]، وهم أهل الكتاب والسنة والجماعة تلامذة الصحابة والتابعين ومن على نهجهم ساروا.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول: غالية التنزيه:

وهم الذين أرادوا تنزيه الله تعالى عن مشابهته للمخلوقين فنفوا الصفات الإلهية التي أثبتها الله تعالى في كتابه، وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته. فلما نفوها عطلوا ذات الباري عن الصفات فعبدوا إلهاً مجرداً عن صفات، لا يسمع ولا يبصر ولا ينزل ولا يد له.....

وهؤلاء هم الجهمية والمعتزلة بفرقها المشهورة. (1)

- فالجهمية نفوا عن الله صفاته وأسماءه وأثبتوا أنه حيٌ، وأنه ليس شيئاً، وتوقفوا في إثبات أنه موجود أو أنه غير موجود؟
- والمعتزلة نفوا الصفات وأثبتوا أسماءً مجردة عن المعاني فقالوا: عليم بلا علم، سميع بلا سمع، متكلم يخلق كلامه..... وما قولهم عن الجهمية ببعيد، لكنهم أرادوا التلقين والتدليس؛ ولذا اسم الجهمية يشملهم في القرنين الثاني والثالث.

أصل شبه المعطلة:

لما وردت صفات الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم حصل توافق في أصل المعنى اللغوي بينها وبين صفات المخلوقين وهو القدر اشترك، فطلبوا تنزيه الله تعالى (2)عما توهموه، من وجود المشابهة بينه وبين المخلوق – فدفعوا هذا بنفيهم للصفات وتأويلها وتحريفها.

---

(1) مصادر أقوال الجهمية والمعتزلة كتب المقالات والفرق خاصة مقالات الإسلاميين. وأقوال المعتزلة تناولتها بواسطة كتابي القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب العدل والتوحيد، وشرح الأصول الخمسة، ولن أعز ولكل فرقة مصادر أقوالها اختصاراً ؛ لأن المراد هنا هو إعطاء الصورة عن فكر القوم وعقيدتهم ومواطن الغلو فيها فقط.

(2) هذا القول على سبيل التنزل معهم على ما ادعوه، وإلا فالكيد للإسلام ومحاولة إفساده ظاهرة من بداية نشأتهم. وهم لما تحاجوا مع النصارى واتهموهم بتشبيه المخلوق بالخالق أجابهم النصارى بأنكم تشبهون الخالق بالمخلوق في إثباتكم لله سمعاً وبصراً... فنفوها. وكذلك عند مناقشتهم لدليل الفلاسفة في قدم العالم ونقضه بالقول بحدوث العالم المسمى بدليل الأعراض في

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مناقشتهم في أصل الشبه:

1ــ لما كان أصل شبهتهم وجود التشابه اللغوي أي تشابه المفردة اللغوية بين صفات الله وصفات خلقه – دفعنا هذا التشابه بأخذ مدلولات نصوص الوحي جميعها. فقد دفع سبحانه التشابه بين الصفة نتيجة الاشتراك بالمعنى اللغوي لمفردة الكلمة، بنفيه وجود المشابهة له كمال قال: { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** }[الشورى: 11] وقال: { **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً** }[مريم: 65]، وقال: { **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** }[الإخلاص: 4].

فإذا تقرر عدم مماثلة المخلوقين لله في أيِّ صفة من صفاته وأفعاله – ليس كمثله شيء – بنفيه المماثلة مطلقاً جملة وتفصيلاً، عُلم أن المعنى الذي يُفهم من تلك الصفات الواردة في النصوص هو المعنى اللغوي الذي يعرفه العرب، ومن سمع تلك الآيات منهم. أما المعنى الحقيقي أو الكيفي لتلك الصفات فليس معلوماً ولا معقولاً لنفيه سبحانه المشابهة به من أي شيء، فكيف ننفي شيئاً لم نعقله أو نحدده؟ أما إثباته فهو إثبات لما عقلناه من معاني الصفات مع تفويض الكيفية إلى الله.

فصفة الاستواء الواردة في مثل قوله: {**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**}[طه: 5]، المعنى اللغوي لمفردة الاستواء هو: العلو والارتفاع والاستقرار والصعود.. حسب ما تتعدى به الكلمة، هذا معروف عند من سمع الآية من العرب، هكذا فهمها الصحابة، أن الله استوى على العرش أي علا وارتفع عليه، أما كيفية استوائه وارتفاعه عليه وحقيقة ذلك فلا يعلمونه ولا يعقلونه لأن العقل لا يمكن تصوره لعظمة الرب سبحانه وتعالى، ولذا لما سئل عن ذلك الإمام مالك قال: ((الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه – أي عن كيفيته – بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً)).

2ــ كما يُردّ على الجهمية والمعتزلة لما اتفقوا على إثبات إن الله حيٌّ؛ إذ يستحيل عقلاً أن يعبدوا رباً ليس حياً – لاحظ أنهم أثبتوا هذه الصفة لما دل عليها العقل وحده – يرد عليهم بأنه يلزمكم في إثبات حياة لله تشبيهاً بحياة المخلوقين

الأحداث ألزمهم الفلاسفة نفي صفات الله لئلا يكون محلاً للحوادث فنفوها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- على منهجكم - لأننا لا نعرف حياة إلا كحياتهم: فلزمكم فيما نفيتم نظير ما لزمكم فيما أثبتم (1)؛ فالقول في الصفات كالقول في الذات، كما أن القول في الصفات في بعضها الآخر.

ومفهوم آية الشورى أن الله سبحانه وتعالى نفى مشابهة أحد له نفياً مطلقاً مجملاً عاماً، وأثبت مفصلاً أنه سميع بصير. فالآية تدل على أن الله سميع بصير لا كسمعكم ولا كبصركم، أي لا كسمع أحد من المخلوقين أو بصر أحد منهم، وإنما سبحانه سميع بصير بسمع وبصر يليقان بجلاله وعظمته وكبريائه، كما يليقان بقداسة ذاته. فقطع الاستشراف أو النظر أو الطمع إلى تصور المشابهة أو المماثلة، فضلاً عن وقوعها وحصولها: { **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ** }[الإخلاص: 1 - 4]

المبحث الثاني: غالية الإثبات:

وهم الذين جاوزوا الحد الشرعي المعتدل في إثبات صفات الله تعالى فقالوا بمشابهة ومماثلة صفات الله أو ذاته لخلقه.

وهؤلاء هم المشبهة والمجسمة ومن غلاتهم المشهورين:

- البيانية - أتباع بيان بن سمعان التميمي الرافضي الذي قتله خالد القسري.
- وأتباع هشام بن الحكم الرافضي (119هـ) وأتباع هشام بن سالم الجواليقي الرافضي وهما أوائل المشبهة في المقالات الإسلامية.
- والمغيرية - أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي والذي حرقه خالد القسري (119هـ) وكل هؤلاء من غلاة الرافضة.

---

(1) قرر هذا الإلزام على الجهمية والمعتزلة وأشباههم ـــ تقي الدين بن تيمية في التدمرية ومفصل الاعتقاد من مجموع فتاويه. وذكر له شارح الطحاوية أمثلة في شرحه على الطحاوية. فالله يهب فضله لمن يشاء. وهي قاعدة عظيمة في الرد على كل من عطل صفات الله.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* والكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني (255)هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شبه أهل التشبيه:

((فأصل دعواهم بناءً على أنهم يشبهون الخالق بالمخلوق وينسبون إلى الله مالا يليق بجلاله وكبريائه كالشعر والظفر واللحم... والنزول والصعود المَخلُوقين وغير ذلك، ويجعلون ذاته محلاً للحوادث وأمثال ذلك مما لا يليق به)) [1] تقدس الله وتعالى سبحانه علواً كبيراً، مع أن الله له نزول وصعود (علو) غير مخلوق يليقان بعظم ذاته وجلال صفاته.

مناقشتهم في أصل الشبه:

تتمة قول صاحب الفرق المفترقة: ((الجواب: نقول: قولهم فاسد؛ لأن الله تعالى بيَّن في كتابه أن لا مثل له ولا شبيه، حيث قال عز من قائل: { **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** }[الشورى: 11] الكاف صلة في قول المفسرين، ومعناه ليس مثله شيء.... الآية حجة على المشبهة والمعطلة جميعاً. لأن أول الآية نفي التشبيه وآخرها إثبات الصفات وهو نفي التعطيل فبطل قول الفريقين)) اهـــ.

ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليه أكمل الناس عقولاً وأصفاهم قريحة وأفضلهم علماً ولم يفهموا هذا الفهم السقيم التشبيهي من النصوص المثبتة لله الصفات. ولو كانوا فهموه - تنزلاً - كفهم أهل التشبيه لنقل إلينا لأنه من أصول الدين وقواعد التوحيد، كيف لا وقد نقل إلينا ما دونه بكثير من دقائق المسائل.... فنعوذ بالله من الزيغ والضلال، بعد الهداية والرشاد. فإن الشبه اللغوي، أو المتواطئ لغة بين صفات الله ومخلوقيه لا يدل أبداً على مطلق المشابهة ! هذا متصور فيما بين الخلق من صفات، لأن إرادة الإنسان غير إرادة الجماد،،أيضاً مشي الإنسان غير مشي الزواحف من الدواب، وهكذا كثير من الصفات. فكيف بين صفات الخالق ومخلوقيه؟ لا شك أن المفارقة متحققة.

---

(1) نقل بتصرف من كتاب الفرق المفترقة ص 74.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

*** تتمة:**

أهل التعطيل، والنفاة يلمزون في أهل السنة بأنهم مشبهة ممثلة وهذا القول يحتمل أمرين:

1ــ أنهم يريدون بذلك من قال بالتشبيه من جملة علماء أهل السنة كمقاتل بن سليمان وداود الجواربي، ومن كان على نهجهم ممن انتسبوا إلى الحديث وروايته.

فربما نوافق هؤلاء على أنهم مشبهة خالفوا منهج السلف في صفات الله وإن انتسبوا إلى أهل الحديث النبوي. فالمعصوم عندنا من عصمه الله والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيفما شاء. وليس كل من انتسب إلى أهل الكتاب والسنة وكان ذا فضل وبصيرة يكون كما ادعاه، فالعبرة بمدى موافقته لمنهج أهل السنة وعقيدتهم، والخطأ مردود على قائله أيّا كان.

2ــ أو أنهم يريدون بذلك أهل الكتاب والسنة والجماعة من الصحابة ومن سار على دربهم، الذين أثبتوا الصفات والأسماء لله بأن أدركوا معاني مفرداتها العربية وفوضوا حقائقها وكيفياتها كما درجوا على قولهم: الكيف مجهول، أو غير معقول.

فإن قصدوا هؤلاء فقد غلطوا غلطاً ظاهراً واضطربت عندهم المفاهيم وانعكست المصطلحات، لأنهم والحالة هذه لم يفهموا كلام السلف و لم يعرفوه. (1)

فهل يسمى المثبت للصفات مشبهاً ممثلاً؟ بل هؤلاء هم المثبتة ضد أهل النفي والتعطيل، وليسوا مشبهة لأنهم لا يزالون يقررون قولاً وعقيدة بأن الله ليس كمثله شيء. وتطبيقهم هذا المنهج على أسماء الله وصفاته يوضح هذه الركيزة، لأن الإثبات عندهم بلا تشبيه ولا تكييف، وتنزيه الله عندهم بلا تعطيل ولا تحريف.

---

(1) والواقع أن المتكلمين من المعطلة ــ بالتتبع ــ لا يعرفون قول السلف حق المعرفة، ولا يدرونه ولا يحفظونه.

ولذا إذا ذكروا قولاً في كتبهم ونسبوه للسَّلف الصالح أهل السنة والجماعة، كان هذا القول المنسوب إليهم مخالفاً لقول السلف. وإنما هو على أحسن أحواله لازم قول السلف عند هؤلاء المتكلمين!

وهذا ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في غير ما مناسبة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإذا جاء هذا اللمز لأهل السنة والجماعة - أتباع السلف الصالح - بأنهم مجسمة أو مشبهة فهو من غلط وجهل في معرفة حقيقة مذهبهم، أو فهم لمعتقدهم حق الفهم علماً وإحكاماً وسلامة.

وأيضاً هذا النبز هو تهمة تشنيع وتلفيق من أولئك لأهل الحق والحديث للترهيب منهم، وللتواطؤ في الصرف عن مذهبهم وأقوالهم.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثاني

الغلو في ذوات الأشخاص

الغلو في هذا الباب من أوسع أنواع الغلو وجوداً عند كثير من الفرق الغالية:

ويشمل:

ـــ الغلو في ذات الرسول صلى الله عليه وسلم.

ـــ الغلو في آل البيت.

ـــ الغلو في الصالحين.

ـــ الغلو عند الصوفية.

* فمن غلوا في ذات الرسول صلى الله عليه وسلم قوم من جهلة المتصوفة وهم طبقة من طبقات الصوفية الدنيا التي لم تصل إلى القول بالمكاشفة أو وحدة الوجود، والسمة البارزة لهم - عادة - الموالد والاحتفالات والرقص والإطراءات والمدائح وهم كثر في هذا الزمان.

فهؤلاء يرفعون النبي صلى الله عليه وسلم فوق مترلته التي هو فيها. من ذلك قول قائلهم البوصيري في القصيدة الميمية في مدح خير البرية:

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

إلى قوله:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي إذا الكريم تحلى باسم منتقم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

* ومن الغلو في عليّ وآل بيته: غلو السبئية والكيسانية - أتباع كيسان مولى علي والمختار بن أبي عبيد الثقفي (67هـ)ـ والخطابية - أتباع أبي الخطاب الأمهدي - والجناحية - أصحاب ذي الجناحين (129هـ)؛ كلهم من الروافض، والنصيرية - نسبة إلى محمد بن نصير النميري - غلو في عليّ وسلمان الفارسي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فجامع القول لهؤلاء الغلاة: هو إلهية علي بن أبي طالب وأولاده من ذرية فاطمة رضي الله عنها فقط وقول بعضهم: إن الله حل بهم. وقالوا: إن علياً في السماء وصوته الرعد وسوطه البرق.

ومن غلاة الرافضة الإمامية بدعوى عصمة الأئمة الاثني عشر مطلقاً؛ وهم علي وأبناؤه: الحسن والحسين، وزين العابدين ابنه، وابنه محمد الباقر، وابنه جعفر الصادق، وابنه موسى الكاظم، وابنه علي الرضا، وابنه محمد الجواد، وابنه علي الهادي، وابنه الحسن العسكري، وابنه محمد بن الحسن الذي يلقونه بالمهدي وهو الذي دخل السرداب في سامراء صغيراً !.

* ومن الغلو في الصالحين، غلو الأتباع المتأخرين في أناس صالحين عباد اشتهروا بذلك. منهم:

ـــ أتباع عبد القادر الجيلاني (561هـــ). ونسبته في الحقيقة الجيلي.

ـــ أتباع عدي بن مسافر الأموي (555هـــ).

ـــ أتباع الجنيد. وغيرهم.

فهؤلاء الصالحون كانوا زهاداً متمسكين بشرع الله راغبين عن الدنيا ومباحاتها. وكانوا على طريقة صحيحة موافقة للشرع وقواعده في الجملة لكن أتباعهم مع مرور الزمن، وبعدهم عنهم غلوا فيهم وزادوا في مترلتهم فادعوا فيهم الكرامة ثم النبوة ثم عبدوهم من دون الله، فزينوا قبورهم وبنوها وقبَّبوها ورفعوها عن الأرض واستغاثوا بهم حتى تكررت صورة قوم نوح مع الصالحين تماماً.

وهؤلاء يسمون أحياناً بالقبورية نسبة إلى سكوفم عند المشاهد وكثرة ترددهم عليها بقصد الدعاء والعبادة والتقرب إلى أصحابها والاستشفاع بهم والنذر والذبح لهم.... إلخ.

ـــ ومن الغلو عند الصوفية الغلو في أصحاب مراتبهم العالية:

ـــ كالغلو في الحسن بن منصور الحلاج (309هـــ).

ـــ الغلو في محي الدين بن عربي الطائي المكي (638هـــ).

ـــ الغلو في عبد الحق بن سبعين (669هـــ).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وغيرهم من الزنادقة الذين ادعوا الولاية – ثم ختم الولاية – بل ادعوا الإلهية وحلول الله بهم وأن الوجود واحد، في الخالق والمخلوق، لا تمايز بينهما، أو قالوا باتحاد الخالق مع خلقه أو آحادهم.... وهذا كفر وزندقة لا مرية فيها.

تلك نماذج من الغلو في الأشخاص صالحين أو زنادقة كافرين.

وسيكون الكلام حول الغلو في ذات النبي صلى الله عليه وسلم لأمرين:

1- لكثرتهم في هذا الزمان ومحاولتهم الاستشهاد ببعض الأدلة الموهمة لمقاصدهم.

2- تلبيسهم على الناس باستخدام وسيلة عاطفة المسلمين تجاه النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته، ولكون فسادهم أكثر وقوعاً مع مرور الأزمان من غيرهم.

أما الغلو في آل البيت – كحال غلاة الرافضة – والغلو في الصالحين والغلو في زنادقة الصوفية، فالنظر في أحوالهم أبلغ من الرد عليهم لفساد عقولهم وقلوبهم وسقوط شبههم، بل وصراحة كفرهم بواضح البيان وصريح القرآن.

أصل شبه الغلاة في ذات النبي صلى الله عليه وسلم:

لما رأوا أن النبي صلى الله عليه وسلم خليل الرحمن، وصاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة، وبركاته صلى الله عليه وسلم على أصحابه في حياته لما توسلوا به ليدعوا لهم حقق الله دعوتهم.

وكذلك لما رأوا تعظيم النصارى لعيسى ابن مريم وغلوهم فيه، قالوا: نحن أحق بهذا التعظيم منهم لمن هو أفضل منه: رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسلكوا طريقتهم فاحتفلوا بميلاده، من ثم دعوه من دون الله، توسلاً ودعاءً واستشفاءً واستنصاراً ومدداً...

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجواب على أصل الشبهة: من وجوه:

1ــ كونه صلى الله عليه وسلم خليل الرحمن وحبيبه، وتحقق الشفاعة العظمى وغيرها له يوم القيامة، كل هذا حق لا مرية فيه.

لكن هذا ليس بمسوغ لنا رفعه فوق مترلته، وطلب الشفاعة منه بعد وفاته مباشرة؛ لأنه لا يشفع إلا بعد إذن الله ورضاه عن الشافع والمشفوع له قال تعالى: { **يَوْمَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً** }[طه: 109].

2ــ سؤاله صلى الله عليه وسلم الحاجات والاستغاثة به بعد موته، شرك في عبادة الله وتوحيده.

وتأمل عبارات البوصيري في بردته وغيره تجد فيها الشرك الأكبر، فكيف يكون الشرك برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل خصائص الإله له – من محبته وتعظيمه – من التوحيد لله ؟

3ــ الصحابة رضي الله عنهم أكمل الناس محبة له صلى الله عليه وسلم بشهادة الخبر والواقع واختيار الله تعالى أمثالهم لصحبة نبيه. ومع كمال محبتهم لم يسوِّغوا لأنفسهم إطراء النبي صلى الله عليه وسلم ومدحه فوق مترلته التي شرفه الله بها، وهي العبودية والرسالة. كيف وقد نهى الله عما يقوم به هؤلاء الجهلة من الصوفية؛ قال تعالى: { **قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى** }[الأنعام: 50] وغيرها مما هو في معناها.

4ــ لما حاول بعض حديثي عهد بالإسلام مدحه نهاهم صلى الله عليه وسلم؛ كما ورد في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر:

« **لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ فقولوا: عبد الله ورسوله** » (1)

---

(1) رواه البخاري في كتاب الأنبياء ــ باب قوله: { **وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَــرْيَمَ إِذْ انتَبَــذَتْ مِنْ أَهْلِهَا** }[مريم: 16].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإطراء: مجاوزة الحد في المدح، والذي هو سبيل من سبل الغلو فيه صلى الله عليه وسلم.

وحديث عبد الله بن الشخير لما قدم في وفد بني عامر فقالوا: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت سيدنا فقال: « **السيد الله تبارك وتعالى** »، قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً. فقال: « **يأيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل** ». رواه أبو داود بسند جيد، وما نهيه صلى الله عليه وسلم إلا حماية لجناب التوحيد وخوفه من الشرك فيه كما حصل عند النصارى، بل وعند اليهود.

ولذا في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم – الموت – طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما صنعوا، ولو لا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الثالث

الغلو في القضاء والقدر

القدر سرُّ الله في خلقه، والبحث فيه بحث في بحر عميق مظلم، وحيرة عقول وأفهام إلا من سلمه الله تعالى، والجدل فيه على غير هدى خطره عظيم يورث الضلال والبعد عن الفطرة السليمة، كما سيورث الشك والشبهة.

* **وللقدر مرتبتان متضمنتان أمرين – هما:**

1ــ الكتابة: فكل ما قدره الله إلى يوم القيامة فهو مكتوب، كما ورد في حديث عبادة بن الصامت لما وصى ابنه قائلاً:

« يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب. قال: ربِّ وما ذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وحتى قيام الساعة** » يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **من مات على غير هذا فليس مني** » رواه أبو داود والترمذي وقال أحمد: حديث غريب من هذه الوجه (1)

فهذه المرتبة – أي الكتابة – متضمنة علم الله تعالى بما كتب – عقلاً وشرعاً – قال الله تعالى: { **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** }[الحج: 70].

2ــ المشيئة والإرادة: فلا يقع شيء في فعل الله وخلقه إلا بأمره ومشيئته قال تعالى: {**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً**}[الإنسان: 30] ولا شك أن مخلوقاته تحت مشيئته.

---

(1) أبو داود في كتاب السنة ــ باب القدر، والترمذي في كتاب القدر باب 17 (**قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض**)، ورواه ابن أبي عاصم في السنة رقم 102-108، وقال الألباني: حديث صحيح.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فتضمنت هذه المرتبة الخلق – فلما كان العباد فاعلين أفعالاً حقيقة لهم والله تعالى خالقهم، كان خالقاً لأفعالهم بهذا الاعتبار { **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** }[الزمر: 62]، {**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً** }[الفرقان: 2]، فكل مُقدر مخلوق.

قال الآجري في الشريعة ص 149 لما سأله سائل عن مذهبه في القدر:

« إنا ننصح السائل ونعلمه أنه لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر، لأن القدر سرّ الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير وشر واجب على العباد » اهـــ.

وقال صديق حسن خان في قطف الثمر ص 91:

« فالقدر ظاهره وباطنه، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وقُلّه وكثره، وأوله وآخره من الله عز وجل، قضاءٌ قضاه على عباده، وقدرٌ قدَّره عليهم، لا يعد واحد منهم مشيئة الله، ولا يجاوز قضاه، بل كلهم سائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قدَّر عليهم وهو عدلٌ منه جل ربنا وعز » اهـــ.

ذكرت هذا تقعيداً لأهمية المسألة، ولكثرة الاضطراب فيها، فالناس في هذا الباب بين طرفين وهما غلاة نفي فعل العبد وغلاة إثباته، ووسط وهم أهل السنة.

المبحث الأول: الغلاة في نفي فعل العبد وإرادته:

قال به الجعد بن درهم وأخذه عنه تلميذه جهم بن صفوان السمرقندي الترمذي فصار رأياً للجهمية وعُرفوا في هذا الباب بالجبرية. (1)

وهو قول الشعيبية من المعلومية والخازمية. من الخوارج من طائفة العجاردة (2)

---

(1) في تطور قولهم في القدر إلى الجبر ـــ انظر كتاب القضاء والقدر في الإسلام 129/2-145.

(2) انظرها في المقالات للأشعري ص 178 وما بعدها، والعجاردة نسبة إلى عبد الكريم ابن عَجرد. والاعتقادات للاذي ص 51.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لأنهم قالوا: ليس للإنسان حرية؛ لا اختيار ولا قدرة ولا إرادة بل هو كورق في مهب الريح، وميت بين يدي مغسلة، وكرجل مكفوف الأيدي والأرجل رمي في بحر وأمر بالسباحة وألا يغرق.

وأن نسبة الأفعال إلى الإنسان كنسبتها إلى الجمادات: كجري الماء وجري الدم في العروق ودوران الرحى، وطلوع الشمس هذه نسبة مجاز؛ لأن الله هو الذي خلق فيها هذا الفعل، فالإنسان عندهم مجبورٌ في كل ما يفعله – ليس له إرادة بل هو مسير مطلقاً.

وقال بهذا القول بعض المتصوفة – كما حكاه ابن تيمية في الحسنة والسيئة ص 108: « أنهم يوافقون جهماً – يعني المتصوفة – في مسائل القدر والقضاء وإن كانوا منكرين له في مسائل الصفات » اهـ.

المبحث الثاني: أصل شبهة الجبرية:

منها النصوص الواردة في إثبات أن الله خالق كل شيء والعبد فعله من مخلوقاته.

قال تعالى: { **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** }[الزمر: 62]

وقوله: { **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** }[الرعد: 16] ونحوها. فأفعال العباد واختياراتهم شيء فهي مخلوقة والله خالقها – فعليه لا قدرة ولا اختيار للعباد فيكونون مجبورين.

مناقشة هذه الشبهة: من وجوه:

1ـ نعم كل ما في الوجود هو مخلوق لله تعالى فالله خالقه وصانعه وموجده.

2ـ إرادة العباد واختياراتهم مخلوقة لله باعتبار أنها صادرة من مخلوقات الله ولكونها داخلة في قدرة الله ومشيئته فلا يفعل العبد فعلاً خارجاً عن إرادة الله – ذلك لقدرة الله البالغة وإرادته الشاملة سبحانه.

3ـ الآية لا تنفي حقيقة فعل العبد وتصرفاته واختياره، لكن فعل العبد غير مستقل عن قُدرة الله وقَدرِه، بل داخل فيها. بل ما تدل عليه الآية هو أن كل شيء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مخلوق من مخلوقات الله، ونقول نحن: الأفعال للعبد كذلك لا نخرجها من مخلوقات الله. فالإنسان حر مخير بإرادته لكنه لا يخرج عن إرادة الله ومشيئته.

4ــ الحس والواقع يُحيلان كون العبد مجبوراً على فعلهم.

وذلك بأن لو قيل لأحد اقذف نفسك في النار، أو كان في داره حريق فلن تجده مكتوف الأيدي يقول: لو أراد الله في الحريق فسأحترق، بل تراه يسعى فطرةً وجبلةً لإنقاذ نفسه ومَن تحت يده، وهذا لا يقول به عاقل أبداً.

5ــ يلزم من هذا القول الفاسد - قول الجبرية - أن يوصف الله بالظلم والطغيان تعالى الله عن ذلك وتكرم.

وذلك أن الله - على قولهم - لما أجبر العبد على فعل معين كالسكر والكفر مثلاً - بأن ارتكب العبد ذلك مجبوراً على قولهم - والعبد عندهم لا قدرة له ولا اختيار، فإن عذبه لكفره يكون قد ظلمه لأنه قدر عليه إرادة الشرك والكفر فكيف يقدر عليه ويجبره على فعل ثم يعاقبه عليه؟ ولكن الله سبحانه وتعالى لم يجبره بل ترك له الاختيار بعد أن بين مآل الكافر وحكمه ومصيره، والمؤمن، وترك له الاختيار فيكون العبد متحملاً جرم نفسه وإحسانها والله سبحانه منزه عن الظلم، قال تعالى: { **وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ** }[فصلت: 46] وقوله في غير ما آية: { **وَمَا ظَلَمَهُمْ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** }[آل عمران: 117]، والظلم صفة نقص في البشرية فالله سبحانه وتعالى منزه عنها بطريق الأولى. فهل يعقل أن فعل المعصية والطاعة من العبد، كحركة قلبه ونبض عرقه؟!

6ــ أيضاً يلزم أنه ليس لله حكمة ولا تدبير في خلق الناس وتطليقهم إذا كانوا مجبورين على ما يفعلون، فلم خلقهم ولم أوجدهم؟، بل يكون ذلك عبثاً وسوء تصرف يتنزه الله عنه ويتعالى علواً كبيراً.

قال تعالى: { **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ**} [المؤمنون: 115]، وقال: { **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** } [الذاريات: 56 - 58].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وفي الحقيقة من مذهب الجبرية الجهمية نفي الحكمة في مرادات الله مشيئته.

وسأذكر بعد قول القدرية نماذج من مناظرات تدلل على فساد قولهم وتهافتها وسقوطها أمام العقول السليمة.

المبحث الثالث: الغلو في إثبات فعل العبد وإرادته:

أي استقلال قدرة العبد وإرادته عن إرادة الله وقدرته، تعالى الله عما يشركون.

وهم القدرية؛ لأنهم أثبتوا قدرة للعبد مخالفة لقدرة الله فسموا القدرية، وقيل لنفيهم قدرة الله وإرادته في أفعال عباده، والأول أظهر.

وقال بهذه المقولة معبد بن خالد الجهني (80هـ) والذي أخذها عن رجل من النصارى اسمه سوسن - كما قال الأوزاعي.، وأخذ المقولة عن معبد غيلان بن مسلم الدمشقي (105هـ) ثم قالت بها المعتزلة.

وهو قول الحمزية - أتباع حمزة بن أكرك - والميمونية من الخوارج، وقول الكرامية أتباع محمد بن كُرَّام الزاهد - من المرجئة.

وقولهم: إن العبد يخلق فعل نفسه ويختار بإرادته ومشيئته ثم يوجد الفعل بنفسه وقدرته وحدها. والله مع علمه بذا من عبده ليس له صنع ولا تقدير ولا تدخل ولا تغيير في إرادة عبده. (1)

فقال معبد الجهني وغلاة القدرية: لا قدر وأن الأمر أنف (2) لم يسبق بإرادة ولا تقدير ولا علم من الله تعالى وإنما يعلم به الله بعد وقوعه.

* فالفرق بين قول عامة القدرية وغلاتهم: هو في نفي علم الله بفعل العبد قبل وقوعه منه أو بعده أو بالتقريب؛ فإن غلاة القدرية ينفون مراتب القدر الأربع جميعها:

---

(1) انظر قولهم هذا في: المغني وأبواب العدل والتوحيد 3/8 وما بعدها، وشرح الأصول الخمسة ص 323، 431، والمقالات 238/1، 298-299، و دراسات العقائد والفرق 267-269. والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، وأقوال الناس فيه.

(2) كما في قصة يحيى بن يعمر وعبد الرحمن الحميدي لما قدما على ابن عمر، في مسلم ــ كتاب الإيمان ــ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم1.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

1ــ علم الله السابق بكل شيء قبل وقوعه.

2ــ وكتابته.

3ــ وإرادته ومشيئته له.

4ــ وخلق الله له بينما عامة القدرية ينفون المرتبتين الأخيرتين الثالثة والرابعة فقط.

المبحث الرابع: أصل شبه القوم:

هو لازم قول الجبرية الذي فروا منه، فقالوا: لو أننا وصفنا الله بالفعل والقدرة والإرادة وقلنا: يريد الكفر والشرك والفسوق من عبده – ولو كان العبد هو الفاعل حقيقة والله أراد ذلك – للزم منه إتيان فعل الله للقبيح وإرادته وهو الكفر والشرك والفسوق. وأن الله ظلم عباده إذا يقول: { **وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** }[التوبة: 95] فلو عاقبهم بما كتبه عليهم لكان ظالماً لهم (تعالى الله عن قولهم وفهمهم علواً كبيراً) فلا بد أن نجعل العبد خالقاً لفعله مريداً لذلك بدون تعلقه بإرادة الله وخلقه.

مناقشة هذه الشبهة: من وجوه:

1ــ إذا كان العبد من مخلوقات الله – قطعاً – وفعله وإرادته من خلقه فلماذا خرج عن مخلوقات الله وهو الموجد لها. فالله خلقه، وما خلق وكسب.

2ــ ضلال الناس – المتكلمين في القدر – في الفرق بين إرادة الله لحصول الشيء وبين محبته ورضاه به. فليس كل ما يريد الله يرضاه ويحبه؛ فالكفر يريده الله كوناً وقدراً لكنه لا يحبه شرعاً وديناً. وهو الفرق بين الإرادتين الكونية والدينية.

والفرق بينهما أن الله من كمال علمه بما كان ويكون، علم كيف كل ما سيكون ويجري إلى يوم القيامة قبل خلقه العالم والسموات والأرض – هذه الإرادة الكونية والقدرية.

أما الإرادة الشرعية الدينية التي يرضاها لعباده في فعل العبد ما يحب الله ويرضاه وإطاعة أوامره واتباع هديه ورسله.... من غير حاجة الله إلى ذلك حاجة مضطر أو غاصب فالله ترك لعبده حرية الاختيار بين الحسن والقبيح، والخير والشر. وقد سبق في علمه وقدرته أن العبد سيختار ما يختار وبإرادة العبد { **وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ }[التكوير: 29]. وذا من كمال علم الله وإرادته وإحاطته سبحانه بكل شيء دق أم كبر.

3ــ جعل للعبد إرادة وقدرة مستقلة يخلق بها فعله من غير أن يريد الله ذلك أو يخلقه فيه مشابهة للمجوس الذين يجعلون النور إلهاً للخير خالقاً له، والظلمة إلهاً للشر خالقة له. فكل عبد على حد قولهم يكون خالقاً ما لا يريد الله أو يخلقه. وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: « **القدرية مجوس هذه الأمة** » رواه أبو داود والحاكم وغيرهم (1). حيث جعلوا العباد خالقين لأفعالهم مع الله الخالق الواحد القهار. بل هم شر من المجوس في هذا، باعتبار أن المجوس الثنوية جعلوا خالقين، وهؤلاء القدرية اعتقدوا خالقين كثيرين مع الله عزوجل.

4ــ ظلم الله لعبده ممتنع لأن الله جعل لعبده إرادته واختياره، ولم يؤثر فيها – كما ستأتي مناظرة المجوس للقدرية – يدل لذلك أن العبد لا يدري ما قدّره الله له. فلهذا يفعل كل ما يفعل بمحض اختياره هو؛ فهو إن أراد النكاح لا يعقد في بيته ويعلق الأمر على إرادة الله ويقول إن أراد الله تزويجي تزوجت، بل تجده يفعل السبب من بحث وخطبة. وهذا فعله بمحض اختياره، ولكن من جهة ثانية فعله هذا سبق به علم الله قبل خلق السموات والأرض وكان به إرادته الكونية القدرية العامة – ولا تضاد بين الجهتين، بل هما منفكتان ــ، وهو من كمال علمه وقدرته التي أحاطت بكل شيء، ولا تأثير لما سبق في علم الله وكتابته وتقديره على محض اختيار العبد وإرادته.

5ــ قوله تعالى: { **جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** }[التوبة: 95] لا خلاف فيه، فالله يجازي كلاً بما كسب وعمل ولا تعارض مع قدرته وإرادته وهو قررنا من أن للعبد إرادة واختيار يعرف الحق ويختاره، بمحض إرادته وهو مع ذلك سابق في علم الله وإرادته. فلا حجة ولا دلالة فيها على أن الله يجازي عباده بما قدره عليهم

---

(1) رواه أبو داود ــ كتاب السنة باب لزوم السنة رقم 4691 ــ والحاكم في مستدركه 85، واللالكائي رقم 1150-1155، والآجري في الشريعة ص 190 وابن أبي عاصم في السنة.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأجبرهم عليه. لأن العبد إن فعل الخير فإنه يفعله من اختياره هو ورغبته إليه، وكذا فعله للشر.

6ــ يلزم على قول القدرية أنه يقع في ملك الله وخلقه، ما لا يريده ولا يقدره، وعند غلاتهم أيضاً ما لا يعلمه؟ وهذا وصف لله بالنقص، وهو مما يُقبح المذهب ويرديه.

إذاً سبب خطأ القدرية والجبرية اعتقاد الترادف بين ما يريده الله، وما يرضاه ويحبه، فانطلقوا من هذا ليتزهوا الله عن إرادة الشر وظلم العبيد. فقائل بالجبر وقائل بنفي قدرة الله على فعل عبده. هذا مع إحسان الظن والحق ما قلناه، من أن ما يريده الله إرادة عامة لا يستلزم محبته له ورضاه به. وعلى كل فكل دليل صحيح يقيمه كل من الجبري والقدري يدل على فساد قول الآخر.

فأدلتهما – الجبرية والقدرية – تتكافئان ثم تتساقطان، فلا يبقى عندئذٍ إلا القول المتوسط بينهما: قول أهل السنة والجماعة، وهو الذي تجتمع عليه الأدلة ولا تفترق، وتتوافق ولا تتخالف.

المبحث الخامس: نماذج من مناظرات حول قول القدرية:

حكى القاضي علي بن أبي العز في شرح الطحاوية هذه المناظرة ص 250 قال: « وقف أعرابي على حلقة فيها عمرو بن عبيد – المعتزلي – فقال: يا هؤلاء إن ناقتي سرقت فادعوا الله أن يردها علي. فقال عمرو بن عبيد: اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته فسرقت فارددها عليه. فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك. قال: ولم؟ قال: أخاف كما أراد ألا تسرق فسرقت، أن يريد ردها فلا ترد » اهـــ.

* قال ص 250 أيضاً:

« روى عمرو بن الهيثم قال: خرجنا في سفينة، وصحبنا فيها قدري ومجوسي، فقال القدري للمجوسي: أسلم ! قال المجوسي: حتى يريد الله. فقال القدري: إن الله يريد ولكن الشيطان لا يريد ! قال المجوسي: أراد الله وأراد الشيطان فكان ما أراد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشيطان، هذا شيطان قوي. وفي رواية: فأنا مع أقواهما ».اهـــ. فتأمل كيف أوقفه لضعف منهجه، وركاكة معتقده!.

* وفي حاشية شرح الطحاوية رقم 246:

« دخل عبد الجبار الهمذاني على الصاحب بن عباد وعنده أبو إسحاق الإسفراييني الشافعي فلما رآه عبد الجبار قال: سبحان من تنزه عن الفحشاء !.

فقال أبو إسحاق: سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء. فقال عبد الجبار أيشاء ربنا أن يُعصى؟ فقال الإسفراييني: أيُعصى ربنا قهراً؟ فقال عبد الجبار: أرأيت إن منعني الهدى، وقضى عليَّ الردى أحسن إليّ، أم أساء؟. فقال الإسفراييني: إن منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء. قال: فبهت القاضي عبد الجبار.

* وحكى أبو بكر بن القيم في شفاء العليل مناظرتين:

إحداهما: بين قدري وسني – كأنه حاكها بنفسه في الباب العشرين، وهي طويلة.

الثانية: بين جبري وسني في مجلس مذاكرة في الباب التاسع عشر، وهي نحو التي تليها.

* **ملاحظة:**

يتضمن قول غلاة القدرية « معبد الجهني وأتباعه » إنكار علم الله بفعل عبده إلا بعد وقوعه وهذا يتضمن إنكار مراتب القدر الأربعة.

فمن أنكر علم الله لزمه إنكار كتابته للمقادير، ثم إرادته لها، ثم خلقه إياها؛ فكيف يخلق ويريد ويكتب مالا يعلم؛ فهؤلاء يكفرون إجماعاً.

وقول عامة القدرية يتضمن نفي الإرادة والخلق، وهؤلاء في كفرهم نزاع بين العلماء !.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفصل الرابع

الغلو في الصحابة وآل البيت حباً وبغضاً

وهذا النوع كان من الممكن إدراجه تحت مبحث الغلو في ذات الأشخاص لكنني أفردته لأهميته؛ إذ هو أول فتنة حقيقية وقعت بين الصحابة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، ومن هذا الباب دخل الرافضة بدعوى محبة آل البيت، ومن نتائجها بُغض الصحابة عندهم بل تكفيرهم وتنقصهم.

والذي أفرطوا في حب بعض الصحابة وتجاوزوا الحد الشرعي المعتدل فيهم، هم الرافضة والإسماعيلية والباطنية، وفرقهم، حيث كان حبهم لعليّ وآل بيته وقليل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

ومقابل المفرطون في عليّ بن أبي طالب، وجُد الخوارج الذين يكفرون الصحابة بعد الجمل بمن فيهم عليّ وكبار صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وزوجاته، وهم النواصب.

المبحث الأول: الغلاة في حب علي بن أبي طالب وآل بيته:

وأقصد بهم الذين قالوا فيهم ما ليس فيهم: من عصمة ووصاية ونبوة بل ودعوى الإلهية.

وهؤلاء هم: السبئية، والمغيرية، والخطابية، والشريعية، والبيانية، والكيسانية.

والإمامية الانثا عشرية، الذي قالوا بعصمة الأئمة الاثني عشر وهم:

1ـ علي بن أبي طالب.

2ـ الحسن.

3ـ الحسين.

4ـ زين العابدين.

5ـ محمد الباقر.

6ـ جعفر الصادق.

7ـ موسى الكاظم.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

8ـ علي الرضا.

9ـ محمد الجواد.

10ـ علي الهادي.

11ـ الحسن العسكري.

12ـ محمد بن الحسن العسكري صاحب السرداب المتوفى (260هـ) على خلاف.

والإمامية فرق كثيرة يجمعهم القول بعصمة الأئمة - من آل علي - ولكن اختلفوا بعد محمد الباقر فيهم، وستكون محل المناقشة والعرض، لقربها من الواقع وكثرتهم في هذا الزمان، ولأنهم يحاولون الاستدلال لآرائهم من القرآن.

فقد اجتمعوا (1) على أن النبي صلى الله عليه وسلم نصَّ على خلافة عليّ بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه.

ولما كانت الإمامة لا تكون إلا لأفضل الناس - وهو عليّ عندهم - ولا تكون إلا بنص، لزم أن تكون الإمامة عندهم عصمة؛ لأنه يترتب عليها تفويض الأحكام إلى الإمام ولو خالفت نصوص التنزيل، والإمامة تكون بنص حيث نص الرسول صلى الله عليه وسلم لعليّ، وعليّ للحسن، وهكذا إلى الأئمة الاثني عشر.

الرد عليهم في أصل قولهم:

بقولهم أن النبي صلى الله عليه وسلم نصَّ على خلافة عليّ باسمه وأعلن ذلك، فرد هذا من وجوه:

1ـ أين نصه صلى الله عليه وسلم لعليّ؟ ومن نقله، وأين مصدره المنقول بالأسانيد المقبولة المتصلة، والمُتحمَّل بالصيغ القوية الواضحة لا بالرؤي والمنامات والتخيلات والأماني..... والمُؤدّاة بها؟!

2ـ هذا لم يُوجد و لم يقل به أحد غيركم؛ لأنه لو وجد مثل هذا النص القاطع لما ساغ لجمهور الصحابة الاختلاف يوم السقيفة... ولما خفي عليهم أو على بعضهم، فضلاً عن عليّ رضي الله عنهم أجمعين.

---

(1) نقل الإجماع عنهم أبو الحسن الأشعري في المقالات 89/1.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

3ــ عليّ بن أبي طالب بايع الصديق ثم الفاروق ثم ذا النورين. ولو كان يعلم أنه منصوص بإمامته علانية فلا يخلو موقفه من حالتين:

أ – أن يكون علم به و لم يعمل بهذا التنصيص، بل رده – وهذا مستحيل من أمثاله رضي الله عنه، خاصة في هذا الأمر المهم وهو الإمامة، بل هذا لا يجوز منه، ولو وقع لكان كبيرة في حقه رضي الله عنه !

ب – أو يكون لم يعلم به، فأين ظهوره وعلانيته؟ مع عظم أمر الإمامة، وكيف يُنص على إمامته صريحاً ثم هو لا يعلم بذلك؟ وأين يكون علم بالنص وورورده، و لم يعمل، أو لم يدعُ الصحابة إلى بيعته وإظهاره نص النبي عليه السلام؟ بل قد بايع ثلاثة قبله. فإذا عُلم هذا وعُلم خصوصية الرافضة بنقل هذا النص دل على كذبه وبطلانه، وأنه أضعف من عرضه على موازين الرد والقبول، والجرح والتعديل.

4ــ لو كان بايع خوفاً وجبناً لمن سبقه – وحاشاه ذلك – فلماذا لما استمالت إليه الإمامة وبايعه المسلمون لم يبن هذا النص الظاهر، ويقتص من الذين منعوه البيعة وخرجوا عن أمره بمبايعة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم أجمعين، أو يعزرهم ؟!

فلمّا لم يكن ذلك، دلَّ على أنه رضي الله عنه ليس معصوماً منصوصاً عليه، وعليه فليس معكم في التنصيص على إمامته وعصمته ثم وصايته لمن بعده من أبنائه، فلماذا خصصتم بعض أبنائه دون بعض، ومحمد بن الحنفية لم تجعلوه إماماً معصوماً وهو من أبنائه، ومن آل بيته قطعاً؟، أو لجعفر بن أبي طالب أخيه وهو من آل البيت كذلك، وكذا غيرهما.

كل هذا يبين فساد قولكم وضعف أصوله وتفاهته.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* **خلاصة:**

الغلاة في الصحابة هم الذين غلوا في عليّ وآل بيته وسلمان الفارسي، كما هو عند النصيرية وسائر الرافضة غلاة وعامة.

المبحث الثاني: الغلاة في بغض الصحابة وتكفيرهم:

كل من غلا في آل البيت تواتروا على بغض الصحابة رضي الله عنهم واتهامهم بالخيانة والضلال؛ بل الكفر والشرك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى نفر قليل لا يتجاوزون العشرة، منهم: المقداد بن عمرو وأبو ذر الغفاري وعمار بن ياسر وسلمان الفارسي.

* ممن صرحوا علانية بكفر الصحابة كلهم حتى عليّ: الكاملية (1)أتباع أبي كامل من غلاة الروافض، فكفروا الصحابة لأنهم لم يبايعوا علياً بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وكفروا علياً لأنه لم يطلب حقه بالخلافة ولم يطلب قتال من خالفه كما قاتل أصحاب الجمل وصفين.

* ومن الغلاة في هذا الباب: النصيرية؛ حيث يسبون فاطمة وحسناً وحسيناً ويحبون عبد الرحمن بن ملجم قاتل عليّ؛ لأنه خلص روح الإله من التراب.

* ومن الغلاة من الخوارج: الحرورية: أول من خرج من الخوارج وذهبوا إلى حروراء، والأزارقة - نسبة إلى نافع الأزرق ـــ، وغيرهم، حيث حكى أصحاب الفرق والمقالات أنهم متفقون في كفر عثمان وعليّ وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعائشة أم المؤمنين، والحكمين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهم، وكل من رضي بالتحكيم من الصحابة وغيرهم، أو من صوّب إحدى الفرقتين، وأصحاب الجمل من الصحابة وغيرهم.

ويترضون عن الشيخين الصديق وعمر رضي الله عنهم أجمعين.

---

(1) انظر: المقالات للأشعري 88/1، والملل والنحل 174/1، واللوامع للسفاريني 81/1، والاعتقادات 75، والفرق بين الفرق 54.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* ومن عجيب ما رأيت قول البكرية - أتباع بكر بن زياد البهلي - من الخوارج، بأن طلحة والزبير كافران، لكنهما من أهل الجنة لأنهما من أهل بدر، ومن شهد بدراً مع النبي صلى الله عليه وسلم فهو من أهل الجنة عندهم وإن كان كافراً !!، فكيف يكون كافراً ومخلداً في جنات النعيم؟، سبحانك هذا بهتان عظيم.

المبحث الثالث: أصل شبهة الخوارج:

ذكرتهم بالذات لأنهم أكثر الطوائف تكفيراً للصحابة، وبعدها الرافضة وإن كانوا لا يفترقون إلا في:

ـــ الخوارج يترضون عن الشيخين ومن مات قبل الفتنة ويسبون علياً وعماراً وكل الصحابة بعدها.

ـــ أما الرافضة فيسبون الصحابة جميعاً إلا علياً ونفراً قليل، سبق ذكرهم.

* وشبهتهم تقوم على أن علياً حكم الحكمين في أمر الخلافة وفض النزاع مع الشاميين. وقد حكّموا الرجال من دون الله، والله يقول: { **إِنْ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ**} [يوسف: 40]، فكفروا بذلك كل من رضي بحكم الحكمين أو صوّب إحدى الطائفتين.

الرد على هذه الشبهة: من وجوه:

1ـــ عليّ بن أبي طالب لم يُحكِّم الرجال ليحكموا بغير ما أنزل الله، بل بما يوافق حكم الله من الإصلاح بين المتخاصمين.

2ـــ تحكيم الرجال - خاصة في الإصلاح - ورد في القرآن استحبابه كما في قوله تعالى: { **وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقْ اللَّهُ بَيْنَهُمَا** }[النساء: 35].

فندب الله إلى الحكمين المصلحين عند النزاع بين الزوجين، فكيف بالنزاع بين المسلمين !، لا شك أن هذا ألزم، لعظم خطره وكبير أثره على الإسلام وأهله. والله يقول:{ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ** }[الحجرات: 10].

3ـــ أنتم تجيزون الصلح مع الكفار من يهود ونصارى، فجوازه مع المؤمنين أولى ! فهم أحق بهذه المزية من غيرهم، وإلا فالكفر ملة واحدة؛ لا يجب أن تفرقوا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بين ملة وأخرى من باب الإنصاف والعدل ! فلم جوزتموه مع الكفر، وحرَّمتموه مع المسلمين.

بل واقع الخوارج وسماهم هو قتال المؤمنين وإشهار السيوف في وجوههم، كما في روايات حديث ذي الخويصرة التميمي الطويل، في الصحيحين وغيرهما.

4ــ هذا التحكيم وقع برضى من كبار الصحابة – ومنهم الحكمان – وبشهود جماهيرهم، وهم قطعاً أعلم منكم وأفقه وأورع وأدين لله، من غير تكلف، أو تنطع، أو مشادة للدين، وأخذ بعضه وطرح باقيه.

* * *

الفصل الخامس

الغلو في باب الأسماء والأحكام بين المرجئة والوعيدية

المبحث الأول: ما الأسماء والأحكام؟:

هذا المصطلح حادث لم يكن معروفاً عند الرعيل الأول من السلف الصالح، وإن كان موجوداً بمعناه وأحكامه.

ــ فالأسماء: هو ما يسمى العبد به في الدنيا من الأسماء الدينية: مؤمن، كافر، فاسق، عاصٍ، منافق...

ــ والأحكام: هو ما يُحكم عليه به في الآخرة: في الجنة أو مخلد في النار، أو غير مخلد فيها.

وهذا المبحث هو ثمرة الخلاف في مسمى الإيمان وحقيقته. فكل من كان له قول في الإيمان تجد له في نهاية قوله تقريراً في حكم العبد في الآخرة، واسمه في الدنيا.

لأجل هذا سيكون الكلام ابتداءً على الغلو في باب الإيمان بين الطوائف ويتضمن الأسماء والأحكام كنتيجة له.

* أهل السنة والجماعة يعتقدون أن الإيمان يكون بثلاثة أمور:

1ــ قول باللسان.

2ــ اعتقاد بالقلب والجنان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

3ـ عمل بالجوارح والأركان.

مع زيادته بطاعة الرحمن، ونقصانه بطاعة الشيطان، وأصل هذا القول مستفاد من استقراء الكتاب والسنة، وفهم الصحابة لهما، ودلالة لغة العرب لألفاظهما. وعليه فالعبد عند أهل السنة بمقتضى النصوص اسمه في الدنيا مؤمن ما لم يكن صاحب كبيرة مُفسِّقة أو مُكفِّرة.

فإن كانت له مُفسقة فيسمونه مؤمناً ناقص الإيمان بحسب معصيته، أو مؤمناً فاسقاً، ويعامل معاملة المسلمين إلا في الشهادة ونحوها، وهو يوم القيامة من أهل الجنة تحت مشيئة الله إن شاء عذبه بكبيرته أو غفر له برحمته، وإن عذبه بها فإنه لا يخلد في نار جهنم لأنه مسلم معه أصل الإيمان.

وإن كانت بدعة مُكفرة فيقام عليه حد الردة ويسمونه كافراً لإجراء أحكام الكافر عليه، وهو يوم القيامة – أي الكافر – مخلد في النار، لكنهم لا يشهدون لمعين – ولو أقيم عليه حد الردة – أنه من أهل النار المخلدين فيها لعدم اطلاعهم على ما ختم الله به عمله من توبة نصوح، وكذلك الشهادة بالإيمان؛ لا يشهدون لمعين بأنه من أهل الجنة، إلا من نصَّ عليهم الدليل كالعشرة المبشرين بالجنة وعكاشة بن محصن ونحوه رضي الله عنهم أجمعين.

المبحث الثاني: الفرق الغالية في هذا الباب:

اتفق الخوارج والمعتزلة مع أهل السنة على تعريف الإيمان وفارقوهم في تطبيقه حتى غلوا في الأسماء والأحكام.

* فغلت الخوارج وقالت: صاحب الكبيرة اسمه في الدنيا كافر حلال الدم والمال، وحكمه يوم القيامة أنه مخلد في نار جهنم.

* وقالت المعتزلة: هو – أي صاحب الكبيرة – في منزلة بين المنزلتين ليس بمؤمن ولا كافر، هذا في الدنيا وربما يسمونه فاسقاً، لكن على غير معناه عند أهل السنة والجماعة؛ بل فسقاً ينقله عن مرتبة الإيمان ولا يدخله إلى دركة الكفر، وحكمه يوم القيامة أنه خالد مخلد في النار.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فاختلافهم مع الخوارج في اسمه في الدنيا، فلم يصرحوا بقول الخوارج مع أنهم وافقوهم في الحكم الأخروي الذي يكون نتيجة لما قبله من عمل؛ ولهذا سُموا «مخانيث الخوارج »

* وقالت الجهمية، والصالحية – أصحاب أبي الحسن الصالحي المعتزلي – والثوبانية، والغسانية – أتباع يونس بن عون النميري ـــ، والشبيبية – أتباع محمد بن شبيب ـــ، وكذا قال غيلان بن مسلم الدمشقي؛ قالوا:

الإيمان هو المعرفة الإقرار بالله ورسوله بالقلب فقط، وإن لم يكن معه قول اللسان أو عمل الجوارح؛ فكل عارف لله بقلبه في الدنيا هو من أهل الجنة. والعكس بالعكس.

ولذا قال ابن القيم في النونية حاكياً مذهب جهم وأضرابه:

قالوا وإقرار العباد بأنه خلاقهم هو منتهى الإيمان

والناس في الإيمان شيء واحد كالمشط عند تماثل الأسنان

وهؤلاء هم المرجئة المحضة.

* وقالت الكرامية – أصحاب محمد بن كرام السجستاني الزاهد، – وقول النجارية – أتباع الحسين بن محمد النَّجار من المعتزلة، – والمقاتلية – وهم مقاتل ابن سليمان وأتباعه؛ قالوا:

الإيمان هو مجرد النطق بالتوحيد بلسانه.

فمن نطق بالتوحيد عندهم فهو مؤمن كامل الإيمان وهو في الآخرة في جنان النعيم.

والكرامية في المشهور عند العلماء هم من عامة الكرامية، أو قل عوامهم ومتوسطيهم !

* وقالت الأشاعرة، وهو ظاهر قول الماتريدية:

إن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط.

فافترقوا عن المرجئة المحضة بزيادة التصديق على إقرار القلب !

وعلى قول الأشاعرة والماتريدية يُحمل قول شارح الطحاوية ص 332:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

« فمنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وإلى هذا ذهب أبو منصور الماتريدي رحمه الله، ويروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه » اهـــ.

* قلت: أما قول أبي حنيفة فهو غريب عنه، إذ إن المشهور عنه رحمه الله كما في شرح الفقه الأكبر ص 124 - 129 قوله:

« الإيمان هو الإقرار والتصديق، وإيمان أهل السموات لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به، ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق، والمؤمنون مستوون في الإيمان والتوحيد، متفاضلون في الأعمال » اهـــ.

وهذا الذي اشتهر عند الحنفية وذكره شارح الطحاوية هو ما قرره أبو جعفر الطحاوي الحنفي في عقيدته، ولذا يسمون عند أهل العلم ((مرجئة الفقهاء)).

أما قول أبي منصور الماتريدي فلم أقف عليه، ولو صح لكان خلافه مع الجهمية - أصحاب المعرفية بأن الإيمان معرفة بالقلب بالله ورسوله - خلافاً لفظياً إذ إن اللسان ركن زائد ليس أصلياً.

وعلى هذا فالمرجئة مراتب هي:

1ـــ المرجئة المحضة، القائلين بأن الإيمان هو المعرفة بالقلب فقط، والكفر هو الجهل.

2ـــ عوام المرجئة ((الكرامية)) القائلين بأن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط.

3ـــ الأشاعرة والماتريدية: القائلين بأن الإيمان هو التصديق بالجنان.

4ـــ مرجئة الفقهاء القائلين بأن الإيمان هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان.

المبحث الثالث: مناقشة أقوال الغلاة:

* قول الجهمية أظهر من أن يناقش فهو أفسد الأقوال؛ لأن من لوازمه الشهود بالإيمان لأكفر خلق الله، مَنْ كفرهم الله في كتابه، كإبليس وفرعون وقومه وأمية بن خلف... فلازم قولهم أنهم مؤمنون؛ لأنهم جميعهم مقرون بالله وبرسوله في قلوبهم، كما حكاه الله عنهم في غير ما آية في كتابه العزيز.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* أما الخوارج والمعتزلة فمن أظهر شبههم التمسك بقوله تعالى: { **وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً** }[النساء: 93].

فقالوا: هذا مؤمن ارتكب معصية وكبيرة بقتله مؤمناً آخر عدواناً وتعمداً، فالله تعالى جعله مخلداً في ناره، ولا يخلد في النار إلا الكافر؛ فدل على أنه كافر مخلد في النار بكبيرته، وعلى هذا باقي المعاصي.

*** والرد عليهم من عدة وجوه:**

1ــ إن الله ذكر الخلود في الآية و لم يذكره على التأبيد كقوله عن أهل الجنة: {**خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ** }[البينة: 8].

وكقوله عن أهل النار في ثلاثة مواضع من القرآن في أواخر النساء والأحزاب والجن { **خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً** } فصرّح سبحانه فيها بالخلود مع التأبيد.

فعليه يكون المراد بالتخليد في هذه الآية المكث الطويل، خاصة أن معصية قتل النفس التي حرم الله من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله، كما دل عليه حديث السبع الموبقات، فدل على عظم هذا الجرم وكبره لا على كفر فاعله !.

2ــ أن الله تعالى في أحكام القصاص سمى القاتل أخاً للمقتول، كما قوله تعالى: { **فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ** }[البقرة: 178].

فلو كان القاتل كافراً لما جاز أن يسميه الله أخاً للمؤمن؛ لأن الأخوة مودة ولا تكون إلا للمؤمن { **لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ** }[المجادلة: 22].

3ــ يجوز العفو في القصاص إلى الدية، وإلى لا شيء تكرماً وتفضلاً، فلو كان القاتل كافراً مرتداً، لم يجز إسقاط الحد عنه بالعفو، للحديث ((**من بدل دينه فاقتلوه**)) ولحديث ((**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**)).

4ــ القاتل لو أقيم عليه الحد لصلي عليه وغسل ودفن مع المسلمين في مقابرهم وجازت الصدقة عنه.... وعليه إجماع السلف.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولو كان كافراً ترتبت عليه أحكام المرتدين و لم يجز له ما سلف من الأحكام المخصوصة بالمسلمين فقط.

5ــ قال بعض العلماء: إن الآية خاصة في الذين يستحلون القتل، فإن كان كذلك فهو كافر لا شك فيه، لكن ظاهر الآية يبعد عن هذا التأويل والتفسير !.

6ــ على سبيل التنزل معكم فهذه الآية خاصة بمن يقتل مؤمناً متعمداً فلا يدخل معها غيرها من المعاصي كالسرقة والرجم والقذف.... إلخ.

7ــ عموم قوله تعالى في آيتي النساء: { **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** }[النساء: 48].

ولا شك أن القتل دون الشرك بالله إجماعاً؛ فهو داخل تحت المشيئة في هذه الآية.

* أما عن شبهة الكرامية في قولهم: إن الإيمان هو القول باللسان فقط؛ لأن الله دعا الناس إلى الإقرار به، وبالكتب المنزلة، كما في قوله تعالى: { **قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ**..... }[البقرة: 136]، فالله لم يأمرنا هنا إلا بالقول، فدل على أن الإيمان يتوقف عليه.

فالجواب عنهم: كذلك من وجوه:

1ــ غاية ما تدل عليه الآية الأمر بالإيمان بالله والكتب السماوية والأنبياء من قبل الله، وألا يفرق بين رسله فيُؤمن ببعض ويُكفر ببعض، فليس في الآية دلالة على اقتصار الإيمان على القول فقط.

2ــ الآية اللاحقة لها مباشرة فيها: { **فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوا**}[البقرة: 137]؛ أي آمن أهل الكتاب وغيرهم بمثل ما آمنتم به أنتم من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله..... وبعضها لا يكون إلا بالقلب فدل على عدم اقتصار الإيمان على القول المجرد.

3ــ في هذه الآية تنويه بأهم أنواع الإيمان و لم تستغرق الآية جميع أنواع الإيمان ((بالله وملائكته....)). وشعب الإيمان كثيرة، وفي باقي النصوص تكميل لجميع أنواع الإيمان؛ قال تعالى: { **وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ**

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ..... }[البقرة: 177] وغيرها، فالقرآن يؤخذ جميعه لا بعضه، وكذلك السنة، حيث وردت نصوص تكفر من اعتقد بكل مراتبه الست ثم لا يصلي، أو استحل معصية ظاهرة الحرمة، قطعية الدلالة على حرمتها.

4ــ هذا القول يعارض قوله تعالى: { **قَالَتْ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا** }[الحجرات: 14].

فنفى الله عن الأعراب الإيمان مع أنهم نطقوا بكلمة التوحيد، لكن لم يدخل الإيمان إلى قلوبهم، إلا إن قصدوا بذلك الإسلام – أي بالإيمان الإسلام فلا تعارض بين الآيتين.

5ــ يلزم من قولكم أن الإيمان مجرد النطق باللسان فقط، الحكم على المنافقين الذي شهدوا بألسنتهم أنهم مؤمنون كاملو الإيمان، وهذا خلاف صريح الكتاب؛ قال تعالى: { **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً**} [النساء:145]، ولغيرها من الآيات الدالة على كفرهم وتكذيبهم ومآلهم إلى النار.

6ــ كما يلزم من هذا القول أن من به مرض كالأخرس، ولا يستطيع أن يتكلم بلسانه – مع تصديق قلبه وإيقانه بالإيمان – يلزم أنه كافر، وهذا خلاف إجماع المسلمين.

وعلى كل، فإن قصر الإيمان على مجرد النطق به – مع لزومه ابتداءً – قول باطل مخالف لظاهر النصوص من الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وفعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع من يسلم حديثاً.

* أما عند القائلين بأن الإيمان هو التصديق، وهو قول الأشاعرة والماتريدية، فهو باطل أيضاً.

ــ لأنه لو كان كذلك لما صح وجوب تلفظ الكافر بالتوحيد – الشهادتين – عند دخوله الإسلام، وهو ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والمسلمون بعدهم مع مريد الإسلام من الكفرة.

ــ وأيضاً لما صح تكفير أحد من الناس، يأتي بناقض من نواقض الإسلام، أو يترك الصلاة عمداً أو تهاوناً.... ما دام عنده تصديق بالقلب وحده !.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإن هذين مما يبينا فساد قولهم وبعده عن الصواب.

* وكذلك قول مرجئة الفقهاء بأن الإيمان هو: الإقرار والتصديق، يخالف عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بعده من فرضية عمل الإيمان بالصلاة والحج والصوم والجهاد وربط كثير من الأعمال بالإيمان.

بل هم يعارضون قولهم فيما يقررونه في فقههم بوجوب العلم بدءاً من كتاب الطهارة إلى نهاية أبواب الفقه، فلو لم تكن هذه من الإيمان، فما الحاجة من بحثها والعلم والعمل بها؟

* * *

الفصل السادس

الغلو في باب النبوات

الأنبياء والمرسلون هم قوم اصطفاهم الله واختارهم، وأوحى إليهم تبليغ شرعه وأمره ونهيه إلى الناس، {**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنْ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنْ النَّاسِ**}[الحج: 75]

فالنبوة مرتبة رفيعة، ومنزلة عظيمة يتصل بها النبي – صلى الله عليه وسلم – بالله بواسطة وحيه المنزل عليه.

ـــ ولقد زعمت الفلاسفة أن النبوة يمكن أن تكتسب اكتساباً فلا تتعلق باصطفاء الله تعلقاً تاماً؛ فالعبد عندهم بمداومة العبادة والرياضة، يمكن أن يصل إليها ويكتسبها، كالتجارة.

وهي عند الصوفية نوع آخر حيث الولاية عندهم أفضل من النبوة كما يقول محي الدين بن عربي في فصوصه – بواسطة شرح الطحاوية ص 493:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

والولاية عندهم تكتسب بطريقة العبادة المتواصلة ورياضة النفس بها أو بطريق الفلسفة الموصل إلى الحقائق ومعرفة كنه الأمور وانكشافها.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وعوداً على قول الفلاسفة حيث قد انتقصوا نبوة الرسل والأنبياء المبعوثين من الله وبالغوا في ذلك، فجعلوهم أنبياء إلى عوام الناس، فقالوا عبارتهم المشهورة: الفلسفة نبوة الخاصة والرسالة نبوة العامة.

* ومن غلا في النبوة وادعاها لنفسه أو لغيره أقوام كثير منذ حياة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد ادعاها مسيلمة الحنفي الكذاب، وادعاها الأسود العنسي، وسجاح التميمية، وطليحة الأسدي ولكنهما تابا وأسلما وحسن أسلامهما.

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بمن سيدعي النبوة بعده وأنهم قريباً من الثلاثين كما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **لا تقوم الساعة حتى يبعث دجّالون كذّابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله** » متفق عليه. (1)

المبحث الأول: الفرق الغلاة في باب النبوات:

** ممن ادعت النبوة لرجل منهم أو لغيره فرق:

* السبئية: ففي إحدى مراحل تطورها نحو الغلو ادعت النبوة لعلي بن أبي طالب ثم ادعت له الإلهية.

* الغرابية: قالوا: إن جبريل أخطأ في أداء الأمانة فبدلاً من أن يعطيها عليّ بن أبي طالب أعطاها محمداً صلى الله عليه وسلم لأن محمداً يشبه علياً، شبه الغراب بالغراب.

* والنصيرية: ادعت النبوة لمحمد بن نصير النميري قبل دعواهم له بالإلهية.

* والبيانية: ادعوها لبيان بن سمعان، وزعمها هو لنفسه تحريفاً لقوله تعالى: {**هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ** }[آل عمران: 138].

---

(1) رواه البخاري في كتاب المناقب ـــ باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ـــ باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه رقم 2923.

وهل حقيقة العدد مرادة، أم المراد التكثير؟ المسألة محل بحث وتأمل!

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* والمغيرية: أتباع المغيرة بن سعيد العجلي (119هـ)، فزعم المغيرة أن جعفر الصادق – الذي زعموا ألوهيته – قد بعثه رسولاً.

* والشريكية قالوا: إن علياً شريك لمحمد بالنبوة لحديث: ((**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**)). وهؤلاء كلهم من غلاة الرافضة.

* والطريفية – أتباع صالح بن طريف من خوارج المغرب، حيث ادعى النبوة فيه وفي أبنائه. وقال السكسكي في البرهان: إن صالحاً هذا كان رافضياً.

* وقالت قرامطة البحرين – أتباع أبي سعيد الجنابي – بنبوة عبد الله بن الحارث الكندي.

* وفي هذا الزمان ادعت القاديانية النبوة فقد ادعاها مرزا غلام أحمد القادياني (1328هـ) (1)

* وكذلك البابية: ادعى النبوة منهم علي محمد الشيرازي (1265هـ).

* وكذلك البهائية: ادعت النبوة في حسين بن علي المازنداري (1309هـ).

هؤلاء غالب من انتشرت عنهم هذه الدعوى ونلاحظ أنهم يرجعون إلى الرافضة والباطنية والقرامطة. وهذه الدعوى قليلة عند غيرهم.

ـــ فمنهم من يدعي أن علياً إله قد بعثه رسولاً – كادعاء المغيرة بن سعيد العجلي.

ـــ ومنهم من يدعي أن القرآن دل على نبوته بتحريفه له – كبيان بن سمعان.

وقول القوم أبين من أن يُرد عليهم، فهو ظاهر الفساد يدرك ذلك عامة المسلمين قبل متعلميهم.

---

(1) ذكر ذلك أبو الحسن الندوي في القادياني والقاديانية ص 76-77، 129-133 حيث وقف على كتب غلام أحمد لا سيما وأنه من بني لغته، وانظر: كتاب إحسان إلهي ظهـــير ـــ القاديانية ص 160-255.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني: قطعية ختم النبوة بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم:

1ــ دلالة النصوص القطعية تدل على أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين.

قال تعالى: { **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** }[الأحزاب: 40].

ولقد تواتر تواتراً معنوياً في الآثار النبوية ختم نبوته صلى الله عليه وسلم، كما سبق في حديث الدجالين الكذابين. وما روى سعيد بن أبي وقاص: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى تبوك واستخلف علياً على المدينة فقال: أتُخلِّفني في الصبيان والنساء. فقال عليه السلام: ((**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟: ألا إنه ليس نبي بعدي**)) متفق عليه (1)

كناية عن قربه رضي الله عنه من النبي صلى الله عليه وسلم، لكنه ليس نبياً، يدل عليه قوله: ((**ألا إنه ليس نبي بعدي**)). فلا مستمسك للشريكية بمثل هذا الحديث؛ لأن آخر الحديث ينقض عليهم غزلهم إن كانوا قد غزلوا عليه من أوله.

وقضية ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم قضية محسومة بالشهادة بأنه رسول الله لا مجال للنقاش فيها البته. ومن اعتقد بوجود رسول أو نبي أو وصي بعده فقد خرج عن شريعته ودينه، وهو الكفر الصراح الناقض للإسلام !.

2ــ تحريفهم للنصوص القرآنية كزعم الرافضي بيان بن سمعان للنبوة من قوله تعالى: { **هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ** }[آل عمران: 138].

فهذا قول بغير علم على الله، بل بهوى وكذب، فلا تلازم بين اشتراك الأسماء ودلالة كل اسم على الآخر. فالله وصف القرآن بأنه بيان للناس وهدى لهم كافرهم ومؤمنهم، وفيه هدى وشفاء ومواعظ وعبر للمؤمنين كما يدل عليها سياق الروايات قبله.

---

(1) رواه البخاري في كتاب المغازي ــ باب غزوة تبوك، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ــ باب فضائل عليّ بن أبي طالب رقم 2404.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وليست الإشارة إلى هذا الكذاب الذي لم يوجد قبل نزول الآية، وإن وجد فهو يتهم الرسول الذي لم يخبر صحبة بأن هذا هو النبي المنصوص بالقرآن، والذي هو كتم للعلم عند الحاجة إليه في أمر من أهم الأمور.

والواقع أن بيان بن سمعان كان مضلاً للناس و لم يكن بياناً كاسمه أي إنه ليس له من اسمه نصيب فانظر إلى النقائض.

وعلى سبيل التزول على رأيه، أين الدلالة من الآية والتصريح بنبوته نصاً ؟! لكن شأن القوم التفسير الباطني والقول الباطني الخبيث القادح في الشرائع المكذب لله ورسوله، بمقتضى العقل واللغة الصحيحين السليمين.

وهذا القول لا يقول به عاقل فضلاً عمن ينتسب إلى العلم. لكن عقول تمكن منها الشيطان فسلبها خيرها، وأودع فيها شرها، حسبك بمثل هذا القول يصدر منها، وينتسب إليها، ولا حو ولا قوة إلا بالله !.

* * *

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وإن في ختام هذا البحث عن الغلو في أصول العقيدة نجد عند النتيجة التي قررها شيخ الإسلام ابن تيمية في عقيدته الواسطية لما وصف وسطية أهل السنة بين الفرق الإسلامية حيث قال: « بل هم الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل: الجهمية، وأهل التمثيل: المشبهة.

وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية.

وفي باب وعيد الله، بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم.

وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية.

وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الروافض والخوارج » اهـــ.

* نعم إن الغلو في تنزيه الله في الأسماء والصفات أدَّى إلى داء التعطيل؛ فعطلت المعطلة ربنا عن أسمائه وصفاته، كل بقدره.

والغلو في الإثبات، حمل الممثلة على تشبيه الله بخلقه.

* والغلو في إثبات القضاء والقدر حمل الجهمية وأذنابهم على دعوى الجبر في فعل المخلوقين.

والغلو في تنزيه الله عن فعل الشر، حمل المعتزلة وأذنابهم على نفي القدر.

* والغلو في إجراء الأشخاص حمل على تعظيمهم ورفعهم فوق منازلهم اللائقة بهم شرعاً وواقعاً إلى البدعة والشرك بهم من دون الله، دعاءً وغوثاً وتوسلاً واستشفاءً وتذللاً.... إلخ.

ـــ وهو ما جرَّ إلى الغلو في باب النبوة حيث زُعمت لمن لم ينلها من ربنا عزوجل.

* والغلو في باب الرجاء حمل المرجئة على تنوع طوائفهم على تكميل إيمان العصاة أو الفساق أو الكفار.

والغلو في باب الخوف حمل الوعيدية على إخراج جملة ذوي الذنوب من الإيمان، وتخليدهم في النيران.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

* والغلو في ذم الصحابة حمل الروافض على تكفيرهم والنيل منهم.

والغلو في ذم آل البيت حمل النواصب على مثل ذلك.

وأهل السنة في هذا كله وسط بين طوائف المبتدعة، فحملهم قسط ذهب على السلامة من غلوهم والحمد لله.